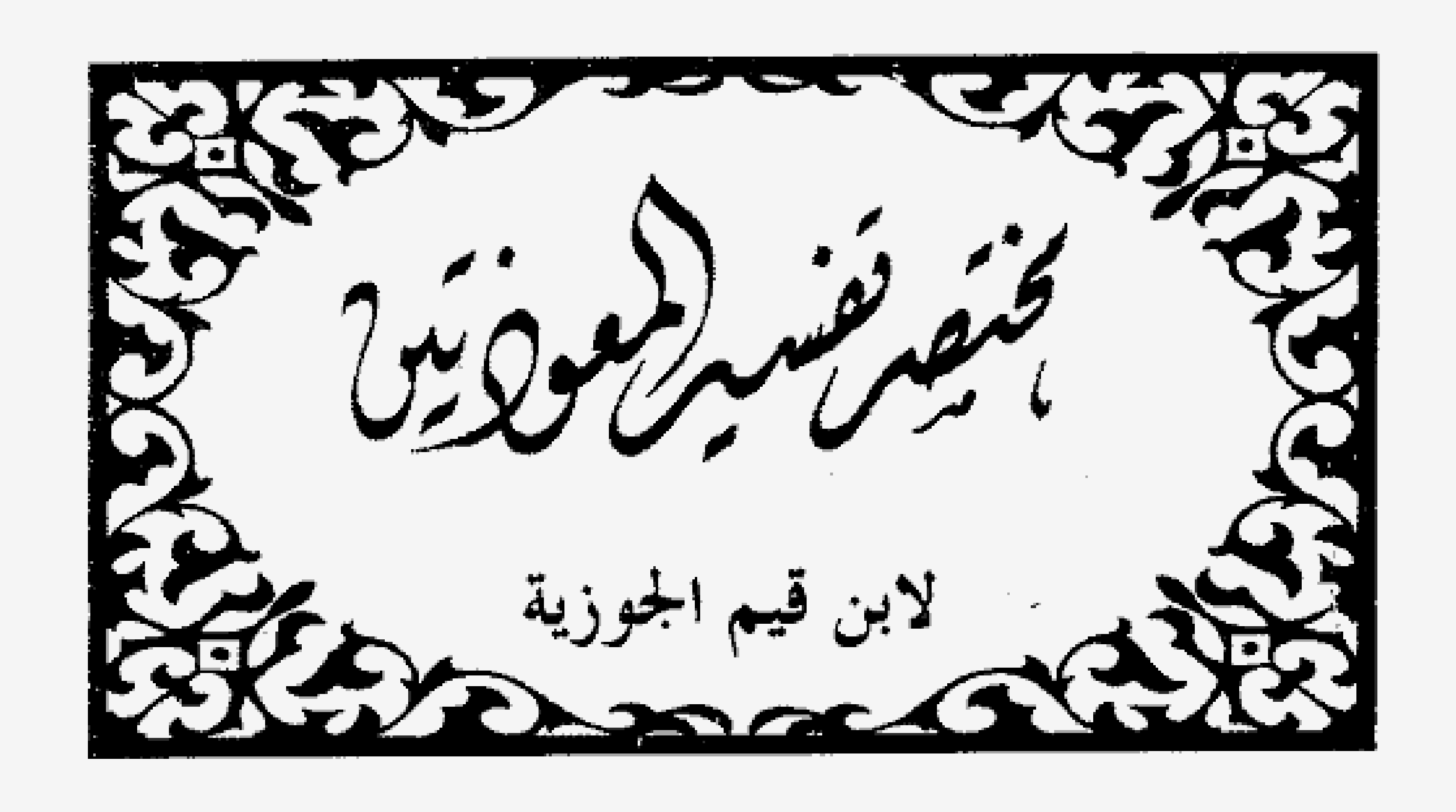


شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

حققه وعلق عليه

إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسوله.

أما بعد..

فإنّ مِنْ دواعي سرور العبدِ وفرحهِ توفيق الله له سبحانه أنْ يستخدمه لخدمة كتابات علماء الأمة ونشر تراث سَلَفها الأوائل، ومن حذا حذوهم وسلك منهجهم، فإني أرى أن نَشر كُتب الأسلاف، وأهل العلم خيرٌ من التأليف والجمع، لأسباب يطول ذكرها، ولاتحتمل هذهِ الديباجة سطرها، ورسالتنا اليوم للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، حُبست نسخها الخطية سنين طويلة في خزائن العراق مع أن كتابات الشيخ انبرى لها رجال في المملكة العربيةَ السعودية

لإخراجها، فأخرجوا ولله الحمد كل ورقة من كتاباته، وهذا فضل من الله عليهم أن يستعملهم لمثل هذا العمل الجليل.

وبركة دعوة الشيخ يدركها من له أدنى حض من البصيرة، وما يعيش مسلم في عصرنا هذا سليم العقيدة إلا ولدعوة الإمام نصيب طيب عليه، والحقيقة أنه ما من حركة إصلاحية ظهرت في العالم الإسلامي إلا وتأثير حركة الشيخ عليها أمرٌ لا يكاد ينكره منصف، وكذا كل مصلحي الأمة الإسلامية ومجددي أمر دينها، بل إن كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم كادت أن تتلف من قبل أعداء الدعوة لولا فضل الله ثم أتباع هذه الدعوة، وكان لعلماء نجد –الذين هم ثمار الشيخ– فضل واضح في نشرها وذيوعها من جديد بعد أن آلت للدروس، وهذه الرسالة إحدى مختصرات الشيخ لكتب ابن القيم رحمه الله،وماهو بجديدعلى الشيخ فله ديدن في اختصار الكتب فله مختصرات عديدة نذكر منها:

(١) مختصر الصواعق

(٢) مختصر العقل والنقل

(٣) مختصر منهاج السنة

(٤) مختصر فتح الباري

(٥) مختصر زاد المعاد

(٦) مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

ويعد هذا الكتاب من سلسلة هذه المختصرات، وهو كتاب آخر لابن القيم يختصره الشيخ للإمام ابن القيم بعد «زاد المعاد».

والجدير بالذكر أن للمختصرات أثراً كبيراً في الدعوة، فما من دعوة إصلاحية تبرز إلا وتظهر معها الحاجة لرسائل صغيرة مختصرة تُبث بين أبناء الأمة تسهيلاً للعلم، وتذليلاً لصعابه على قلوب العامة ومحاكات لمداركهم، وإنزالاً للناس منازلهم

والتدرج معهم، فالعلم مراتب ودرجات، لا بدَّ للداعية الفطن من خطوات أولية لتقريب هذا الدين للناس، فالناس ليس لكلهم القدرة والقابلية على قراءة المطولات وكتب أهل العلم، سيما كتابات شيخ الإسلام وتلميذه الإمام ابن القيم التي تتسم بالطول وكثرة الشجون والتفرعات والردود، فيشعرالقارىء بتشابك في المعلومات وبُعد عن الغاية المطلوبة فيضل السبيل بين التفرعات والاستطرادات، لذا برزت أهمية الاختصار والتهذيب، وإنها لمهمة دعوية قيمة، فليس كل من اختصر أجاد، فان تقدير التقديم والتأخير والحذف أمرٌ لايقدّره إلا أهله.

و لله الحمد فإن رسالتنا المختصرة هذه حسبها أن يختصرها إمام من الأئمة وفحل من الفحول، وتلك هي وأيم الله منّة على الأمة أن يختصر أهل العلم بعضهم لبعض.

وقد أكثرت من الكلام على المختصرات؛ لأننا نسمع بين الحين والآخر نقد للمختصرات المبثوثة في المكتبات، ولعل كلام الناقد البصير محمول على ما يفعله بعض التجار، أو حتى طلبة العلم أحياناً من إخلال في مختصراتهم وعبث في كتابات علماء الأمة.

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قدرة عجيبة في تيسير العلوم الشرعية للناس، فقد يسّر أمر التوحيد والعقيدة الإسلامية برسائله الصغيرة، وكتاباته التي بارك الله فيها فكانت سبباً لإنقاذ الأمة من دياجير الظلمات، وأوحال الشرك التي تلطخت به فكانت كتاباته بحق من قبيل السهل الممتنع، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الطبعة السابقة للكتاب

نشر الدكتور الفاضل فهد بن عبد الرحمن الرومي، الأستاذ المشارك ورئيس قسم الدراسات القرآنية بالكلية المتوسطة لإعداد المعلمين بالرياض هذا الكتاب وجعله

قسمين الأول سماه ((تفسير سورة الفلق)) والثاني ((تفسير سورة الناس)).

نشر الرسالة الأولى في ((مجلة البحوث الإسلامية)) التي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في العدد ((٢٧))، ثم نشرتها مكتبة التوبة سنة (١٤١٠هـ)، أما الثانية فقد نشرته نفس الدار سنة (١٤١٣هـ)، والحقيقة أن طبعة الدكتور جزاه الله خيرا للكتاب خدمة للعلم، ولنا عليه ملاحظات كانت وراء إعادة نشر هذه الرسالة:-

الأولى: نشر الدكتور الرسالة بعنوان ((تفسير سورة الفلق)) تأليف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهذا خطأ فالكتاب مختصر لتفسير المعوذتين، وليس تأليفاً والفرق واضح بين الاختصار والتاليف.

الثانية: فَصْل المخطوطة برسالتين أمرٌ لا يقبله البحث العلمي فالمخطوطة واحدة في جميع نسخها والموضوع مترابط فالمعوذتان جمعهما رسول الله ﷺ بقوله: (ما تعوذ المتعوذون بمثلهما)، وكذا أفعال الصحابة والسلف، وابن القيم سمى تفسيره المعوذتين، وكذا ابن تيمية وغيره فالفصل مرفوض من الناحية العلمية والموضوعية.

الثالثة: هناك في طبعة الدكتور إضافات على النص لا يوجد في مخطوطته التي اعتمدها، وقد أشرت لها في الهوامش.

الرابعة: إعترض الدكتور على الإمام ابن القيم عدّة مرات، استعجل فيها بالنقد على ابن القيم وكان الحق مع ابن القيم.

الخامس: أكثر الدكتور من التعليقات حتى كادت تعليقاته أن تفوق حجم الرسالة.

السادسة: أن الدكتور اعتمد على مخطوطة واحدة في حين اعتمدت على ثلاث مخطوطات، ولله الحمد.

وأخيراً فإن للدكتور جزاه الله خيراً تعليقات قيّمة، والتفاتات رائعة استفدت منها ومن لايشكر الناس لا يشكر الله.

النسخ المعتمدة في تحقيق الرسالة

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على ثلاث مخطوطات، واستفدت من الأصل المطبوع في بدائع الفوائد والذي طُبع مُستقلاً عدة مرات، والحقيقة أني حققت الرسالة كاملاً ثم رأيت طبعة الدكتور فهد الرومي جزاه الله خيراً وعندما راجعت مطبوعة الدكتور تبين أنه أضاف أشياء من عنده وهذا أمرٌ مؤسف للغاية في التحقيق.

النسخة الأولى:

أثناء بحثي في مخطوطات شيخ الإسلام لإكمالي مشروع «المستدرك على مجموع الفتاوى»[1] عثرت على رسالة منسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية عدد صفحاتها (٩) صفحات قطعها متوسط، وراودني شك أنها لشيخ الإسلام لأن الناسخ لم يكتب أنها لشيخ الإسلام، وفي نهاية الرسالة ذكر صاحب الرسالة قال: شيخنا قدس الله روحه وتذكرت أنه كلام لابن القيم في «تفسيرالمعوذتين»، وذهب ظني إلى أنه التفسير الصغير لابن القيم المسمى « الشافية الكافية في أحكام المعوذتين»، والذي ذكره الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات» (٢٧١/٢)، وابن تغري بردى في «المنهل الصافي» (٣/ ٢٦٣) ولكن الأمر استقر عندما رأيت مخطوطة وزارة الأوقاف ببغداد، والنسخة الأخرى النجدية وسيأتي الكلام عن هاتين النسختين.

---

(١) سينشر المجلد الأول منه في دار العاصمة بالرياض وأنا في طور إعداد المجلد الثاني.

أما النسخة المنسوبة لشيخ الإسلام في وزارة الأوقاف ببغداد فكنت قد اطلعت عليها وأردت تصويرها إلا أن مكتبة الأوقاف أغلقت منذ سنة (١٩٩٠م)، والحمد لله فقد عثرت على نسخة مصورة منها في المكتبة القادرية ببغداد، والمخطوطة ضمن مجاميع تحمل رقم (٨ /١٣٨٩)، وأغلب هذهِ المجاميع لشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن رجب، وهذا الذي دفع صاحب الفهرس إلى نسبتها لشيخ الإسلام، صفحاتها تسعة، ومسطرتها (١٨) سطر وخطها واضح جداً ورمزت لها في التحقيق النسخة (أ).

النسخة الثانية:

وهي نسخة وزارة الأوقاف في بغداد أيضاً ولها نسخة في المتحف العراقي مصورة، وهي النسخة التي اعتمدها الدكتور فهد الرومي تحمل الرقم (٤٧٦٧) مجاميع مسطرتها (٢٩-٣٣) في سبعة صفحات قطعها كبير كتبت الآيات باللون الأصفر، وناسخها هو الشيخ نعمان الآلوسي أو محمود شكري الآلوسي[١]، وأما تملكها فهي لمفتي العراق إبراهيم بن صبغة الله الحيدري علاّمة العراق صاحب كتاب (عنوان المجد في أخبار بغداد وبصرة ونجد) وهذه المجاميع القيمة احتوت على رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن رجب الحنبلي ومحمد بن عبد الوهاب، وبعض علماء نجد وهو مجموع قيم كتب في القرن الثالث عشر للهجرة، وأحب أن أذكر أن هناك تفسيراً آخرصغيرللشيخ محمد بن عبد الوهاب (تفسير الإخلاص والفلق والناس)، وهو الذي طبع ضمن مؤلفات الشيخ محمّد بن عبد الوهاب وهو من تأليفه وليس هذا المختصر وإني- ولله الحمد -

---

(١) كلاهما تُرجم له في مجلة الحكمة الغراء.

لي عناية طيبة بمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده في العراق، وقد جردتها من كل مكتبات العراق المعروفة وكنت قد حققت رسائل منها (الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب)[1] و(توحيد الخلاق)[2]، وكل ذلك اعتماداً على النسخ الموجودة في العراق، ورمزت للنسخة الثانية بـ(ب).

النسخة الثالثة:

لا أعرف لـلآن إلى أي مكتبة تعود هذه النسخة إذ أن صاحبها أخبرني أنها صورت له من المملكة العربية السعودية فحسب، والحقيقة أن هذه النسخة لم تفدني سوى النسبة للإمام محمد بن عبد الوهاب فهي طبق النسخة (أ).

ويبدو أنها حديثة جداً كتبت في أواخر القرن الثالث عشر، والله أعلم.

وأحب أن أنوه إلى أني أشرت للأصل المطبوع لابن القيم في بدائع الفوائد بكلمة (الأصل).

وأخيراً فإني لم أترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ولا للإمام ابن القيم رحمه الله فهما أجل من أن يخفيا على الناس.

منهجي في التحقيق يتمثل في:

(١) المقارنة بين النسخ المخطوطة والأصل المطبوع وأثبات الاختلافات.

---

(١) كنت أتمنى أن أطبع هذا الكتاب منذ سنين إلا أني وجدته مطبوعاً مؤخراً فلله الحمد والمنة و الكتاب نشر بتحقيق خير من تحقيقي فالحمد لله.

(٢) لا تزال نسخته المحققة في بغداد والله الميسر.

(٢) عزو الآيات لمواطنها من كتاب الله عز وجل.

(٣) تخريج الأحاديث وبيان درجتها صحة وضعفاً وكذا تخريج الآثار وعزوها.

(٤) الترجمة والتعليق على ما تمس إليه الحاجة.

هذا وعسى أن يوفقني مولاي لهذا العمل، وأن يوزعني أن أشكر نعمته عليّ وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً يرضاه.. اللهم سدّد وأرشد عبدك الفقير اللهم آمين.. آمين..

الفقير إلى عفو ربه

أبو معاذ

إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

النص المحقق

بسم ا لله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق: معنى أعوذ التجيء وأعتصم وأتحرز.

والفلق: هو نور الفجر الذي يطرد الظلام، وتضمنت هذه السورة:

المستعاذ به

المستعاذ منه

المستعيذ

والمستعاذ به هو: ا لله رب الفلق ورب الناس الـذي لا ينبغي الاستعاذة إلاّ بـه ولا يستعاذ بأحد من خلقه، وقد قال ا لله في كتابه[1] عمن استعاذ بخلقه إستعاذته زادته رهقاً[2] وهو الطغيان[3]، واحتج أهل السنّة على المعتزلة في أن كلمات ا لله مخلوقة بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله قل أعوذ برب الفلق[4]، وأعوذ بكلمات ا لله التامات[5]، وهـو

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الجن: ﴿وأنه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾.

(٢) الرهق: قال ابن كثير في تفسيره(٤/ ٤٢٩): خوفاً وارهاباً وذعراً، وقال آخرون: الرهق وهو الإثم، وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً، وقال أبو عبيدة صاحب((مجاز القرآن))(٢/ ٢٧٢): رهقاً سفهاً وطغياناً. ونقل الزمخشري في((كشافه))(٤/ ١٦٧) وقيل: أن الانس زادوهم كبراً وكفراً، أو فزاد الجن الانس رهقاً باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم.

(٣) في تفسير سورة الفلق المطبوع لمحققه الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي كتب التالي (أن استعاذته زادته رهقاً وهو الطغيان فقال:﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ واحتج أهل السنة ...) وهذه إضافة من الدكتور الرومي حفظه الله لا داعي لها.

(٤) استعاذ النبي ﷺ بالمعوذتين في مواطن متعددة نُجملها بالتالي:

(أ) دبر الصلاة.

=

لايستعيذ بمخلوق أبداً والمستعيذ هو رسول الله ﷺ[1]، وكل من اتبعه إلى يوم القيامة.

وأما المستعاذ منه فهو أربعة أقسام:

الأول:

الشر العام في قوله ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.وهذا يعم كل شر في الدنيا والآخرة وشر الشياطين من الإنس والجن وشر السباع والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى

(ب) أثناء النوم.

(ج) في الصباح والمساء.

(د)كان يعيذ بها الأطفال من العين والحسد.

وكل الذي ذكرناه وردت فيه أحاديث صحيحة ثابتة.

(٥) احتج أهل السنّة بهذا الحديث، ومن ذلك ما ذكره البخاري رحمه الله في كتابه((خلق افعال العباد)) عن شيخه نعيم بن حماد. وللحديث روايات كثيرة نذكر منها:

(أ) حديث خولة بنت حكيم:

رواه أحمد في ((مسنده))(٦/٣٧٧) ومسلم(٤/٢٠٨٠) والترمذي(٣٤٣٧) وابن خزيمة في صحيحة(٤/١٥٠) والنسائي في((عمل اليوم والليلة)) (٥٦٠، ٥٦١) وابن ماجة(٣٥٤٧) قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وفي الحديث كلام لا يقدح بصحته.

(ب) حديث أبي هريرة:

رواه الإمام مالك في الموطأ(٢/٩٥١) وأحمد في ((مسنده))(٢/٣٧٥) ومسلم(٤/٢٠٨١) والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (٥٨٥-٥٨٩، ٥٩١-٥٩٢) وابن ماجة(٢/٥٨) والبيهقي في((الاسماء والصفات)) (١٧٠) والبخاري في((خلق افعال العباد))(٤٤٥) وهوحديث صحيح.

(ج) حديث ابن عباس:

رواه الإمام أحمد في((مسنده)) (٢١١٢،٢٤٣٤،ط أحمد شاكر) والبخاري في((صحيحه))(٦/٤٠٨) وأبو داود(٤٧٣٧) والترمذي(٢٠٦٠) والنسائي في((عمل اليوم والليلة))، (١٠٠٦، ١٠٠٧) وابن ماجة (٣٥٢٥) والحاكم (٣/ ١٦٧)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة))، (٦٣٤)، والطحاوي في((مشكل الاثار))(٤/٧٢) وأبو نعيم في((حلية الأولياء))، (١٢٢٧١)، ((و الطبراني في الصغير)) (٧٢٩) وابن حبان (٢/٢٥٤-الاحسان).

(١) الخطاب لرسول الله ﷺ بـ(قل) أما لأمته فلأن المقصود في كل خطاب بالقران هو الشمول والعموم الآ ما خصصه الشارع.

وشر النفس وشر العمل وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أي من شر كل مخلوق فيه شر وليس المراد الاستعاذة من كل ما خلق الله فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض[1].

والشر الثاني:

شر الغاسق إذا وقب وهذا خاص بعد عام والغاسق الليل، إذا أقبل ودخل في كل شيء، والغسق الظلمة والوقوب الدخول؛ والسبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل هو أن الليل: محل سلطان الأرواح الشريرة وفيه تنتشر الشياطين، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات والمواضع المظلمة، ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محل[2] الشياطين وبيوتهم.

وذكر سبحانه في هاتين الكلمتين الليل والنهار والنور والظلمة فأمر الله عباده أن يستعِيذوا بربّ النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها وهو سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى فيسأل لكل مطلوب بإسم يناسبه.

والشر الثالث:

شر النفاثات في العقد وهذا الشر هو شر السحر فإنّ النفاثات هنّ السواحر اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر، والنفث هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل وهو مرتبة بينهم والنفث فعل الساحر،

---

(١) استثناء الإمام ابن القيم دقيق، ذاك أن ألفاظ القرآن يفهم من بعضها العموم والاطلاق وهي ليست كما يفهم في الظاهر كقوله تعالى: ﴿تدمر كل شيء﴾، والريح لم تدمر إلا قرية واحدة، وكذلك هنا فالاستعاذة من كل مخلوق له شر وليس من كل مخلوق، كما ذكر ابن القيم الانبياء، والملائكة وكذلك الجنة ليس فيها شر.

(٢) في[أ] ((محال)) وما أثبتناه من[ب] [ج] والاصل المطبوع لابن القيم.

فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، واستعان بالأرواح الخبيثة نفث في تلك العقد نفخاً معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نَفَس ممازج للشر مقترن بالريق الممازج، وقد تساعده[1] الروح الشيطانية على أذى المسحور؛ فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري.

ولما كان تأثير السحر من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة قال سبحانه: من شر النفاثات، بالتأنيث دون التذكير، وقد دلّ قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ على تأثير السحر وأن له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام[2]، وقالوا: أنه لا تأثير للسحر لا في مرض ولا في قتل ولا حل ولاعقد قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء.

والسحر يؤثر مرضاً وثقلاً[3] وحلاً وقتلاً وحباً وبغضاً وغير ذلك من الأثار موجود[4]، يعرفه الناس وكثير منهم قد علمه ذوقاً بما أصيب به وقوله: ﴿مِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، دليل على أن النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلاّ بمباشرة البدن ظاهراً، كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفاثات

---

(١) في[ب] وتساعد هو والروح.

(٢) حكى الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم انكروا وجود السحر وربّما كَفرّ بعضهم من اعتقد وجوده. وقال القرطبي:وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبو إسحاق الإسفراييني من الشافعية.

وذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه (الاشراف على مذاهب الاشراف) باباً من السحر فقال: اجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فانه قال: لاحقيقة له عنده، وذكر ذلك ابن كثير في تفسيره(١/١٣٨-١٤١) وقد ردّ على هؤلاء جمع من الأئمة كالباقلاني كما ذكر ابن تيمية في((النبوات)) والرازي في تفسيره والقرطبي وابن كثير والنووي والمازري والشنقيطي في تفسيره وكثير من أهل العلم.

(٣) في جميع المخطوطات(وقتلاً) وما اثبتناه من تفسير ابن القيم الاصل. راجع بدائع الفوائد(٢/٢٢٧).

(٤) في المخطوطات (موجودة) ولعل ما اثبتناه أصوب راجع بدائع الفوائد (٢/٢٢٧).

شر يستعاذ منه، وأيضاً فإذا جاز على الساحر أن يسحر أعين جميع الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشر بخلاف ما هو به مع أن هذا تغيّر في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغير بعض أعراضهم وطباعهم وقواهم فإذا غيّر إحساساً حتى يحصل المحبوب إليه بغيضاً والبغيض محبوباً وغير ذلك من التأثيرات، وقد قال الله عن سحرة فرعون أنهم ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦]، فبين سبحانه أن أعينهم سُحرت، وذلك إما أن يكون لتغيّر حصل في المرى وهو الحبال والعصي[١]، مثل أن يكون السحرة استعانت بأرواح حركتها وهي الشياطين، فظنوا أنها تحركت بأنفسها وهنا كما إذا جرّ من لا تراه[٢] حصيراً أو بساطاً فترى الحصير والبساط يَنْجَرُّ ولا ترى[٣] الجار، فهكذا حال الحبال والعصي قلبتها الشياطين فظن الرائي أنها انقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها.

وأما أن يكون التغيير حدث في الرائي حتى رأى الحبال والعصي تتحرك وهي ساكنة في أنفسها ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا..

وأما ما يقوله المنكرون في أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها مثل الزيبق وغيره حتى سعت فهذا باطل من وجوه كثيرة[٤].

الشر الرابع:

شر الحاسد إذا حسد، وقد دلّ القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي

---

(١) في المخطوطات «عصا» والصحيح «العصي» لأنه أمر يعود لعصي السحرة وقد نبه على ذلك الدكتور الرومي رعاه الله.

(٢) في المخطوطات «يراه».

(٣) في المخطوطات «يرى».

(٤) مسألة «الزيبق» أوردها الرازي في تفسيره بلفظ «وقد قيل» «احكام القرآن» (١/٤٣).

المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود في نفسه وعينه، وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ، فحقق الشر منه عند صدور الحسد، والقرآن ليس فيه لفظة مهملة لكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود ولاهٍ عنه فإذا خطر على قلبه انبعث نار الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعِذْ با لله ويتحصن به ويكون له أوراد في الأذكار والدعوات، والتوجه إلى الله والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله وإلاّ ناله شر الحاسد ولا بد، وفي الحديث الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ وفيها: (باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك)[1]، فذكر شر عين الحاسد ومعلوم أنها لا تؤثر بمجردها إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ، كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئ وأما إذا نظر إليه نظر من قد تكيّفت نفسه الخبيثة وانسمت فصارت نفساً غضبية [خبيثة][2] حاسدة، أثرت بها تلك النظرة فأثرت في المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد، فربما أمرضه، وربما قتله، والتجارب بها عند الخاصة والعامة أكثر من أن تذكر.

وهذه العين إنما تؤثر بواسطة النفس الخبيثة، وهي بمنزلة الحية إنما يؤثر سمها إذا عضت؛ فإنها تتكيّف بكيفية الغضب فتحدث فيها تلك الكيفية السم فتؤثر في الملسوع، وربما قويت حتى تؤثر بمجرد النظر وذلك في نوع منها حتى يؤثر بمجرد النظر فتطمس البصر وتسقط الحَبلَ، كما ذكر النبي ﷺ في أبتر وذي

---

(١) الحديث رواه مسلم (٢١٨٥).

(٢) زيادة من [أ] ولا توجد في [ب].

الطُّفتين[١] منها اقتلوهما، وهذا علم لا يعرفه إلا خواص الناس. وهل الانفعال والتأثير وحدوث ما يحدث في الأجسام للأرواح والأجسام آلتها بمنزلة الصانع فالصنعة في الحقيقة له والآلات وسائط. ومن له فطنة وتأمل أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام رأى عجائب وآيات دالة على وحدانية الله وعظم ربوبيته، وأن ثم عالماً آخر يجري عليه أحكام أخر يشهد آثارها وأسبابها غيب عن الأبصار فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين[٢].

والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كل منهما تتكيف نفسه وتوجه نحو من تقصده أذاه.

والعائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين ومعاينته.

والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور ويفترقان في أن العائن قد يعين من لا يحسده من حيوان أو زرع فإذا كان لا ينفك من حسدصاحب، بل ربما أصاب نفسه وسببه الإعجاب بالشيء واستعظامه[٣]، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية يؤثر في العين وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا

---

(١) الحديث المتفق عليه رواه البخاري(٦/٢٤٨) ومسلم(٢٢٣٣).

ولفظ البخاري «أقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفتين والأبتر، فانهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل».

ولفظ مسلم: (فإنهما يسقطان الحبل ويلتمسان البصر».

الطفيتان: الخطّان الابيضان على ضهر الحيّة.

الأبتر: قصير الذنب.

قال الخطابي في معنى التماس البصر كما نقله ابن القيم عنه في «زاد المعاد» (٤/١٦٦):«يلتمسان البصر.فيها معنيان:

الأول: يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرها إليه بخاصة جعلها الله في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان.

الثاني: أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش» أ.هـ

(٢) هذا أحد الأسباب وقد ذكر ابن القيم في الأصل أسباب أخر مثل: شدة العداوة، (بدائع الفوائد) (٢/٢٣٢).

(٣) لابن القيم كلام موسع قريب من هذا في «زاد المعاد» (٤/ ١٦٥) فليراجع فإنه نفيس وكذا له كلام في كتاب «الروح».

حَسَدَ﴾ يعم الحاسد من الجن والإنس، فإن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما أتاهم الله من فضله، ولكن الوسواس أخص بشياطين الجن.

والحسد أخص[1] بشياطين الإنس والوسواس يعمهما أيضاً، فكلا الشيطانين حاسد موسوس فالاستعاذة من شر الحاسد يعمهما جميعاً، فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم، وتضمنت شرور أربعة يستعاذ منها شراً عاماً وهو شر ما خلق، وشر غاسق إذا وقب، فهذا نوعان.

ثم ذكر شر الساحر والحاسد وهما نوعان أيضاً لأنهما من شر النفس الشريرة وأحدهما يستعين بالشيطان ويعبده، وهو الساحر، وقل ما يتأتّى[2] السحر بدون نوع عبادة الشيطان وتقرب إليه إما يذبح باسمه أو يذبح يقصد به هو، فيكون ذبحاً لغير الله وبغير ذلك من أنواع الشرك، والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سمّاه بما سمّاه به[3]، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه، فمن سجد لمخلوق وقال: ليس هذا سجود له هذا خضوع، ويقبل الأرض بالجبهة كما قبلها بالفم[4]، أو هذا اكرام، لم يخرج بهذهِ الألفاظ عن كونه سجود لغير الله فليسمه بما شاء، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ

(١) في المخطوطات [أعم] وهذا خطأ وما أثبتناه يوافق الأصل ويتناسب مع المعنى الصحيح.

(٢) في [أ] (يأتي) والصواب من بقية المخطوطات والاصل.

(٣) هذا كلام نفيس فالعبرة بحقيقة الاشياء لا بمسمياتها، ألا ترى أن إبليس وصف شجرة الهلاك لآدم بأنها ﴿شجرة الخلد وملك لايبلى﴾ واليوم يسمي أهل الباطل الخمر بأسماء أخرى خبيثة كالمشروبات الروحية، والدياثة فناً وأدباً، ويعكسون الأمر على أهل الحق فيَسِمُون أهل الدين والايمان بالتعصب والارهاب والاصولية والتطرف والله المستعان على ما يصفون وقد نبه لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وللصنعاني إشارة لطيفة في كتابه البديع((تطهير الاعتقاد)).

(٤) في المخطوطات [بالنعم] والصواب ما أثبتناه وقد أشار مصحح النسخة [ب] إلى ذلك في الهامش.

به وتقرب إليه، فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة، بل يسميه استخداماً وصدق هو من استخدام الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان ليست [خدمة][1] عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ويعبده كما يفعل هو به، والمقصود أن هذا عبادة منه للشيطان وإن سماه استخداماً.

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن ولا يرتب عليه أذى لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك ولا يعامل أخاه إلاّ بما يحبه الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلاّ من عصمه الله، وقيل للحسن البصري: «أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك إخوة يوسف»[2]، فالرجل إذا كان في قلبه حسد لكن يخفيه ولايترتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه وبيده بل لا يعامل أخاه إلاّ بما يحب الله، فهو لا يطيع نفسه، بل يعصيها خوفاً من الله وحياءً منه أن يكره نعمة على عباده، فيرى ذلك مخالفة لله وبغضاً لما يحب الله فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها الدعاء للمحسود بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني الزوال.

وللحسد ثلاث مراتب:

أحدها هذهِ وهي تمني زوال النعمة.

---

(١) مابين [ ] زيادة من [أ].

(٢) كلام الحسن البصري رحمه الله ذكره هنّاد في «الزهد» [١٤٠٨] وابن حبّان في «روضة العقلاء» [٣٦] وذكره ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» [٤/٤٩٠] وسنده صحيح مع خلاف يسير في الألفاظ.

الثانية:

تمنى استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يُحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص أو عيب، فهذا حسد على شيء معدوم[1]، والأول حسد على شيء محقق وكلاهما حاسد عدو نعمة الله، وعدو عباده محقوق عند الله وعند عباده.

الثالثة:

حسد الغبطة: وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لابأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس)[2].

فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه حبُّ خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم، فيحدث له المنافسة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله [عليه][3]، فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما وهذه السورة من أكبر أدوية المحسود. فإنها تتضمن التوكل على الله والإلتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، والله تعالى أعلم[4].

---

(١) في الأصل [مقدر] وهي أصوب من المخطوطات.

(٢) الحديث رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٥) وغيرهم.

(٣) ما بين [ ] سقطت من النسخة [أ].

(٤) إلى هنا انتهى ما نشره الدكتور فهد الرومي حفظه الله، والذي سماه «تفسير سورة الفلق»

وأما سورة الناس فقد تضمنت أيضاً مستعاذ به ومستعاذ منه ومستعيذاً.

فأما المستعاذ به: فهو الله رب الناس ملك الناس إله الناس، فذكر ربوبيته للناس وملكه إياهم وإلهيته لهم ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، فأضافهم في الكلمة الأولى إلى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم وإصلاحهم[1] مما يفسدهم.

هذا[2] معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة، وعلمه بتفاصيل أحوالهم وبإجابة دعواتهم وكشف كرباتهم، وأضافهم في الكلمة الثانية إلى ملكه فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم في الشدائد والنوائب، فلا صلاح ولا قيام إلا به وأضافهم في الكلمة الثالثة إلى إلهيته، فهو إلههم الحق ومعبودهم الذي لا إله سواه[3]، ولا معبود لهم غيره فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك هو وحده إلههم[4] ومعبودهم، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلهيته، كما لا معه شريك في ربوبيته وملكه، وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، فإذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ولا معبود لنا غيره فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولايحب سواه، ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلاّ عليه؛ لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه أما أن يكون مربيك والقيم بأمورك، فهو ربك فلا رب لك سواه أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقاً وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك

---

(١) في [أ] (لن)، وما أثبتناه في بقية المخطوطات ويوافق الاصل.

(٢) في طبعة فهد الرومي [وهذا] بزيادة واو، ولا توجد في جميع المخطوطات.

(٣) في طبعة فهد الرومي [لا إله لهم سواه] بإضافة [لهم] والمعنى يستقيم بدونها ولا توجد في جميع المخطوطات.

(٤) في الأصل [لاشريك معه] وهي أصوب أشار لذلك الدكتور فهد الرومي جزاه الله خيراً.

وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى روحك وحياتك، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه فهم جديرون أن لايستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستفادة من أعدى الأعداء[١] وأعظمهم عداوة، ثم أنه سبحانه كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه[٢]، فيقول رب الناس وَمَلِكَهُم وإلههم تحقيقاً بهذا المعنى، فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه ولم يعطف بالواو، لما فيها معنى الإيذان بالمغايرة وقدّم الربوبية؛ لعمومها وشمولها لكل مربوب وأخّر الألهية لخصوصها؛ لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده، واتخذه إلهاً دون غيره فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه، وإن كان في الحقيقة لا إله سواه ولكن ترك إلهه[٣] الحق واتخذ إلهاً غيره.

ووسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره المطاع إذا أمر فملكه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكهم من كمال ربوبيته وكونه إلههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه، وملكه يستلزم إلهيته فهو الرب الملك الإله خلقهم بالربوبية وقهرهم بالملك واستعبدهم بالإلهية، فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق رب الناس ملك الناس، إله الناس وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت معنى جميع أسمائه الحسنى[٤]، أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى

---

(١) في المخطوطات عبارة [اعدى العدو]، والتصليح من الاصل.

(٢) في المخطوطات [وقعه] والتصليح من الاصل.

(٣) أضاف الدكتور كلمة [المشرك] فأصبحت العبارة [لكن المشرك ترك] والمعنى يستقيم بدونها.

(٤) تكلم ابن القيم في ((مدارج السالكين)) عن هذا الأمر، وأناط أسماءه وصفاته بالله عز وجل والرب والملك والرحمن.

فإن الرب هو القادر الخالق البارىء المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي(١) النافع الضار المقدم(٢) المؤخر يهدي ويضل ويُسعد

---

(١) أضاف الدكتور الرومي اسم [المانع] نقلاً عن الأصل.

(٢) يجب ملاحظة أنه ليس كل ماذكر هو من أسماء الله الحسنى:

فالقادر مثبت من قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً﴾ [الأنعام:٦٥].

أما الخالق البارئ المصور مثبت من قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ [الحشر:٢٤].

أما الحي القيوم مثبت من قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥].

أما العليم مثبت من قوله تعالى: ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ [الذاريات:٣٠].

أما السميع البصير مثبت من قوله تعالى: ﴿إن الله سميع بصير﴾ [لقمان:٢٨].

أما المحسن فقد تردد أهل العلم من قبول اسم ((المحسن)) في أسماء الله الحسنى فقال الشيخ الفاضل ابن عثيمين رعاه المولى في كتابه ((القواعد المثلى)) (ص١٦):

(لأننا لم نطلع -أي الحديث الذي ذكر اسم المحسن- في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء) أفاد هذه المعلومات الدكتور الرومي فجزاه الله خيراً.

والصواب أن الحديث ثبت بذلك فقد رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/٧)، وعبدالرزاق في مصنفه (٨٦٠٣)، ورجال الحديث ثقات، ولفظه ((إن الله محسن يحب الإحسان)) وقد ذكره الشيخ ناصر في صحيح الجامع (٣٧٤/١) وهناك حديث آخر ذكره في صحيح الجامع أيضاً (٣٧٤/١) بلفظ: ((إن الله محسن فأحسنوا)) وهناك لفظة أخرى ذكرها في سلسلته الصحيحة (٧٦/١) تحت رقم (٤٧٠) ولفظه: ((إن الله محسن يحب المحسنين)) وقد أثبته ابن القيم في ((مختصر الصواعق)) (ص٣١٤).

أما المنعم فلم يذكره أحد ممن ألف في أسماء الله الحسنى.

أما الجواد فقد ثبت بقول رسول الله ﷺ ((إن الله جواد يحب الجود)) والحديث أخرجه أبونعيم في الحلية (٢٩/٥) وصححه الشيخ ناصر في صحيح الجامع (٣٥٩/١).

أما المعطي: فقد ورد في رواية ابن ماجة لحديث أسماء الله الحسنى رقم (٣٨٦١) وفي الحديث عبدالملك بن محمّد الصفاني قال عنه ابن حبّان: كان يجيب فيما يسأل عنه وينفرد في الموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بروايته، وكذا فيه زهير بن محمّد التميمي، رواية أهل عنه غير مستقيمة؛ فضعف بسببها. قال أبوحاتم: حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه والحديث لا يثبت وقد ضعف الحديث البوصيري في ((مصباح الزجاجة)).

وكذا ذكر الإسم في رواية الوليد بن مسلم برواية ابن منده في كتاب توحيد حديث رقم (١٥٧) والحديث لا يثبت أيضاً لا سنداً ولا متناً، وكذا ذكره ابن حزم في إحصاء أسماء الله الحسنى والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عثيمين في إحصائه.

أما النافع: فقد ذكر في رواية الوليد بن المسلم المشهورة والتي لا تثبت لأن أهل العلم ذكروا أن اسماء الله الحسنى في روايته مدرجة في بعض السلف، وكذا في رواية عبدالملك الصنعاني وذكره ابن منده في روايته عن

=

ويشقي ويعز ويذل إلى غير ذلك من معاني الربوبية، وأما الملك فهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمر عباده، كما يحب ويقلبهم كما يشاء فهو العزيز الجبار المتكبر الحافظ الرافع المعز المذل العظيم الجليل الوالي المتعالي الملك المقسط الجامع إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك، وأما الإله فهو الجامع لصفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح:

إن الله أصله الإله[1]، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجمع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأسرار كلام الله تعالى أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما يظهر منها على ماوراه.

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي وهو الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة، فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من ظلم الغير بالسحر والحسد وهو شر

عبدالملك وكذا أبوالشيخ الأصبهاني من طريقة روايته عن الوليد بن مسلم كما في فتح الباري (١١/٢١٩) وذكرها البيهقي في الأسماء والصفات.

أما الضار: فقد ذكر في رواية الوليد بن المسلم وعبدالملك الصنعاني والبيهقي في الأسماء والصفات.

أما المقدم والمؤخر: فهما من رواية الوليد بن المسلم وذكرها ابن حزم والبيهقي وابن عثيمين في إحصائهم لذا فالمنعم والمعطي والنافع والضار والمقدم والمؤخر لم تثبت كأسماء حسنى لأنها لم تات بروايات صحيحة.

بقي أن يقال: إن أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسول الله ﷺ، أما الخبر فهو أوسع من الاسم ولا يلزم أن يكون توقيفياً إذا احتيج إليه وقد فصل ذلك شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٩/٣٠١).(٦/١٤٢) ودرء التعارض (١/٢٩٧، ٢٩٨)، وبدائع الفوائد (١/١٦٢) ومدارج السالكين (٣/٤١٥).

(١) قال ابن القيم في كتابه البديع «بدائع الفوائد»:
(القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلاّ من شذ منهم وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى) ثم شرع ابن القيم بالردّ على من قال بعدم الاشتقاق بكلام جميل.

[من](١) خارج وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شر من داخل، فالشر الأول لايدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه.

والشر الثاني الذي في سورة الناس يدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما.

فتضمنت سورة الناس الاستعاذة من شر العيوب كلها؛ لأن أصلها كلها الوسوسة وأصل الوسوسة الحركة، أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيتحرز منه.

والوسواس(٢): الإلقاء الخفي في النفس أما بصوت خفي لا يسمعه إلاّ من ألقي إليه وأما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

والوسواس الخناس: وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، فالوسواس الشيطان؛ لأنه كثير الوسوسة وأما الخناس: فهو فعّال من خنس يخنس إذا توارى واختفى.

فإن العبد إذا أغفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان، وبذر فيه الوسواس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس والانخناس تأخر ورجوع معه اختفاء.

قال قتادة(٣) : «الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا ذكر

---

(١) ما بين [ ] سقط من (ب).

(٢) في مطبوعة الدكتور الرومي [فالوسواس] وهذا خلاف جميع المخطوطات.

(٣) قول قتادة ذكره بهذا اللفظ القرطبي في تفسيره (٢٠/٢٦٢)، ولم أجده في كتب التفسير بالمأثور، ولكني وجدت آثاراً عن ابن عباس وبعض التابعين كما في تفسير ابن جرير وابن كثير والدر المنثور للسيوطي وغيرها، =

العبد ربه خنس[1]».

ويقال[2]: رأسه كرأس الحية وهو واضع رأسه على ثمرة القلب يمنّيه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكره عاد ووضع رأسه يوسوس إليه، وجيء بلفظ الفعّال دون الفاعل، إعلاماً بشدة هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وأن ذلك دأبه فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً لأنه يعذبه بذكر الله وطاعته.

وفي أثر عن بعض السلف: «أن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر[3]»؛ لأنه كلما اعترضه صبَّ عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد.

وأما شيطان الفاجر فهو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قوياً عاتياً شديداً فمن لم

وذُكر هذا القول كحديث مرفوع ولكن بسند لا تقوم فيه حجة رواه أبو يعلى عن أنس في «مسنده»(٤٣٠١) وأبو نعيم في «حلية الاولياء» (٢٦٨/٦) والبيهقي «شعب الايمان» (٥٤٠) وابن عدي في «الكامل» (١٨٦/٣) في ترجمة «زياد النميري» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤٩/٧) وأعله بضعف «عدي بن أبي عمارة»، وذكره البوصيري في «الاتحاف» وضعفه بسبب «زياد بن عبد الله النميري» ورواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» وابن شاهين في «الترغيب والترهيب» وأبوبكر بن أبي داود في «ذم الوسوسة» ذكر ذلك السيوطي في «الدر المنثور» (٤٢٠/٦) والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢٦٩/٧) والحديث ضعفه ابن حجر في الفتح (٧٤٢/٨) وذكر ابن كثير طريق أبي يعلى ورماه بالغرابة، والحديث وقفه أصح من رفعه والله تعالى أعلم.

(١) في نسخة [أ] عبارة (انخنس) وما أثبت يوافق بقية المخطوطات ورواية القرطبي عن قتادة.

(٢) ذكر ذلك ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» من قول المسيح عليه الصلاة والسلام كما في «الدر المنثور» (٤٢٠/٦).

(٣) بل ورد مرفوعاً بسند صحيح كما أشار العلامة أحمد محمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٥٧/١٧) وهو كما قال: لأن الحديث من رواية ابن لهيعة من طريق قتيبة بن سعيد وروايته عن ابن لهيعة صحيحة والله اعلم. والذي لهم خبرة ومعرفة بإخراج الجانّ من الممسوسين يدركون هذه الحقيقه باعتراف مردة الجان، فالذي يذكر الله عند الأكل والجماع ودخول المنزل وغير ذلك شيطانه ضعيف وعكس ذلك صحيح.

يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله وتوحيده وطاعته، عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يُعذبه شيطانه، وتأمل كيف جاء بناء الوسواس مكرراً لتكريره[1] الوسوسة الواحدة مراراً، حتى يعزم عليها العبد. وجاء بناء الخناس على وزن الفعّال الذي يتكرر منه نوع الفعل؛ لأنه كلما ذكر الله انخنس فإذا غفل العبد عاد بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنييهما.

وقوله: ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته أولاً، ثم ذكر محلها ثانياً وأنها في صدور الناس.

وقد جعل الله للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذاً إلى قلبه وصدره، فهو يجري منه مجرى الدم وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات.

ومن وسوسته أنه يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله، ولهذا يضاف النسيان إليه كما قال تعالى عن صاحب موسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف:٦٣].

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الأستعاذة من شر الشيطان الموصوف، بأنه الوسواس إلى آخر السورة، ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة جميع شره، فإن قوله الوسوسة يعم كل شر، ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً، وهي الوسوسة التي هي مبادىء الإرادة فإن القلب يكون فارغاً من الشر فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها ويحسنها له فتصير إرادة، ثم لايزال يمثل ويشهي وينسي ضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها، فلا يرى إلا التذاذه بالمعصية فقط وينسي ما وراء ذلك، فتصير الإرادة[2] جازمة فيشتد

(١) في جميع المخطوطات (لتكرره) وما أثبتناه من الاصل.

(٢) في نسخة [ب] عبارة (الإدارة) واضاف الدكتور كلمة (عزيمة) نقلاً عن الاصل.

الحرص من القلب، فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده إلى الذنب وينظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة.

فأصلُ كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة فلهذا وصفه بها؛ ليكون الاستعاذة من شرها أهم، وإلاّ فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً فمن شره أنه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حَظاً بالرسقة والخطف وكذلك يبيت في البيت الذي لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب أعدائه يقظة ومناماً أنه فعل كذا وكذا، ومن هذا أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه -إلاّ الله- أحدٌ من الناس فيصبح والناس يتحدثون به، وما ذاك إلاّ لأن[1] الشيطان يجهد في كشف سرّه[2] وفضيحته فيغترّ العبد ويقول هذا ذنب لم يره إلاّ الله ولم يشعر بأن عدوه ساعٍ في إذاعته، وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة. ومن شره أنه يعقد على رأس العبد إذا نام عقدة[3] تمنعه من اليقظة كما في صحيح البخاري: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد)[4] الحديث، ومن شره أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح[5].

ومن شره أنه قعد لابن أدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلاّ والشيطان مرصد عليه يمنعه أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبطه وعوقه فإن عمله وفرغ منه سعى فيما يبطله. ويكفي من شره أنه أقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن

---

(١) في نسخة [ب] عبارة (إلاّ أن الشيطان).

(٢) في نسخة (ب) عبارة [ستره].

(٣) هكذا في جميع المخطوطات وفي الحديث [عقداً].

(٤) الحديث رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦) وغيرهم.

(٥) ورد هذا في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عندما ذكر رجل إلى رسول الله ﷺ أنه نام ليلة حتى اصبح فقال رسول الله ﷺ(ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه).

خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم.

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر فلا خلاص منه إلاّ بمعونة الله وتأييده، ولا يمكن حصر أجناس شرّه فضلاً عن آحادها إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة[1] أجناس.

الشر الأول: الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك بابن آدم استراح، وهو أول ما يريد من العبد فإن يأس منه من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية من الشر وهي:

البدعة: وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي[2] لأن ضررها متعد وهو ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به، فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها صار نائباً له وداعياً من دعاته فإن[3] أعجز من هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الثالثة وهي:

الكبائر على اختلاف أنواعها فهو أشد حرصاً على أن يوقعه فيها ولا سيما إن كان عالماً متبوعاً فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه، ثم يشيع من ذنوبه في الناس ويستنيب منهم من يشيعها تقرباً بزعمه إلى الله وهو نائب إبليس ولا يشعر فان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم، هذا إذا أحبوا إشاعتها فكيف إذا تولوا هم إشاعتها، فإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبه الرابعة وهي:

الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها كما قال النبي ﷺ: (إياكم

---

(١) هذا في جميع المخطوطات أما الأصل ستة أجناس.

(٢) هذا القول مأثور عن سفيان الثوري رحمه الله وغيره من السلف: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية).

(٣) في نسخة (ب) عبارة (وأن).

ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض)[1]، وذكر حديثاً معناه أن كل أحد منهم جاءَ بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا. ولا يزال يسهل عليهم أمر الصغائر حتى يستهينوا[2] بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف أحسن حالاً منه، فإن عجزه العبد في هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة وهي:

اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد في هذه المرتبة، وكان حافظاً لوقته شحيحاً به يعلم أنه مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى المرتبة السادسة وهي:

أن يشغله بالعمل المفضول عن ما (٣) هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفضل الخير المفضول ويحضه عليه إذا تضمن ترك ماهو أفضل منه، وقلَّ من يتنبه لهذا من الناس فإنه إذا رأى فيه داعياً قوياً إلى نوع من الطاعة فإنه لا يكاد يقول هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير ولم يعلم أن الشيطان يأمره بسبعين باباً من أبواب الخير[4]، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وأما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجل وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلاّ بنور من الله يقذفه في قلب العبد؛ يكون سببه

---

(١) هذا الحديث من ثلاثيات مسند الإمام أحمد (٣٣١/٥) وسنده صحيح، وصححه الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٩٠/١٠)، وقال: [رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح]، وكذا صححه الشيخ ناصر في ((سلسلته الصحيحه)) برقم [٣٨٩].

(٢) في نسخة (ب) عبارة (يستهين بها).

(٣) في نسخة (ب) (عمّا).

(٤) ذكر هذا القول عن السلف رضوان الله عليهم.

تجريد متابعة الرسول وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله واحبها لله وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله ورسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم وأكثر الخلق محجوبون.

وذلك لا يخطر بقلوبهم فإذا أعجزه العبد في هذه المراتب سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتبديع والتحذير منه؛ ليشوش عليه قلبه وليمنع الناس من الانتفاع به، فحينئذ يلبس المؤمن لامة الحرب ولا يضعها عنه إلى الموت ومتى وضعها أسر وأصيب فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله. فتأمل هذا الفصل وتدبره واجعله ميزاناً لك[1]، تزن به نفسك وتزن به الناس والله المستعان.

وتأمل السر في قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾. ولم يقل قلوبهم والصدر هو ساحة القلب، وهو بمنزلة الدهليز[2] وبيته، فمنه يدخل الواردات إليه فيجتمع في الصدر، ثم يلج في القلب وفي القلب يخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود ومن فهم هذا فهم قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته ويلقي ما يريد القاءه إلى القلب، فهو موسوس[3] في الصدر وسوسة واصلة إلى القلب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠]. ولم يقل فيه لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك وأوصله إليه فدخل في قلبه.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اختلف الناس في هذا الجار والمجرور، بم يتعلق فقال

---

(١) في نسخة (ب) عبارة (ميزانك).

(٢) الدّهليز: هو الممر الواصل بين الباب والدار.

(٣) في نسخة (ب) عبارة (فهو سوس).

الفرَّاء[١]، وجماعة هو بيان للناس الموسوس في صدورهم أي أن الموسوس في صدورهم قسمان: أنس وجن، فالوسواس يوسوس للجني، كما يوسوس للإنسي وهذا القول ضعيف جداً لوجوه منها:

أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني ويدخل فيه كما يدخل في الإنس، والناس [اسم][٢] لبني آدم فلا يدخل الجن في مسماهم.

والصواب القول الثاني وهو: أن قوله من الجنة والناس بيان للذي يوسوس، وأنهم نوعان: إنس وجن[فالجني يوسوس في صدر الإنسي والإنسي يوسوس إلى الإنسي فالموسوس نوعان: إنسي، وجني][٣]، فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب وهذا مشترك بين الجن والإنس وإن كان إلقاء الإنسي ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إلى الواسطة؛ لأنه يدخل في ابن آدم ويجري منه مجرى الدم، على أن الجني قد يتمثل ويوسوس إليه في أذنه كالإنس كما روى البخاري عن عائشة [رضي الله عنها] عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الملائكة تحدث[٤] في العنان(والعنان الغمام) بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة، فيقرها في أذن الكاهن، كما يقر القارورة، ويزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم[٥])،

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي إمام الكوفين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان يقال له أمير المؤمنين في النحو: وكان ثعلب يقول لولا الفرَّاء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة وسكن بغداد، وله مؤلفات جمّة توفي سنه (٢٠٧هـ) في طريق مكة.

((وفيات الأعيان)) [٢/٢٢٨]، ((ونزهة الألباء)) (١٢٦)، ((تاريخ بغداد)) [١٤/١٤٩] ((الأعلام)) [٩/١٧٨].

(٢) مابين [ ] ساقط من نسخة (أ).

(٣) مابين [ ] ساقط من نسخة (أ).

(٤) في نسخة (ب) عبارة (تحدث).

(٥) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٤٧٠١-الفتح).

فهذه[1] وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن، ونظير اشتراكهما في هذه الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ونختم الكلام على السورتين في ذكر قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان، ويحترز به منه وذلك عشرة أسباب:

أحدها:

الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

والمراد بالسميع هنا سميع الإجابة لا السمع العام.

الحرز الثاني:

قراءة هاتين السورتين، فإن لهما تأثيراً عجيباً في الاستعاذة بالله من شره ودفعه، ولهذا قال النبي ﷺ:

(ما تعوذ المتعوذون بمثلهما).

وكان يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر عقبة بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كل صلاة[2].

---

(١) في نسخة (ب) عبارة (فهذا).

(٢) حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه رواه أبو داود (١٤٦٣)، والطحاوي في ((مشكل الآثار)) (٣٦/١) والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٧رقم٩٤٣) البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٣٩٤٩/٢)، والحديث صحيح وله ألفاظ أخرى كثيرة.

وذكر ﷺ : (أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء)[1].

الحرز الثالث:

قراءة آية الكرسي[2].

الحرز الرابع:

قراءة سورة البقرة.

ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان)[3].

الحرز الخامس:

خاتمة البقرة.

فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[4].

---

(١) الحديث رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٧٥٠)، وقال حديث حسن صحيح غريب، والنسائي (٨/٢٥٠): والحديث حسن، والله أعلم.

(٢) آية الكرسي فضلها معروف عظيم، وورد فيها أنها حرز من الشيطان عند المنام أحاديث صحيحة، وفي قراءتها بعد الانتهاء من الصلاة المفروضة، والله أعلم.

(٣) الحديث رواه مسلم (٧٨٠) والترمذي (٢٨٧٧) واللفظ له، وأحمد (٢/٢٨٤،٣٣٧،٣٧٨،٣٨٨) والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٥٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٨) وغيرهما.

الحرز السادس:

أول سورة حم المؤمن إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

ففي الترمذي في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة[1] عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[2]: (من قرأ حم المؤمن إلى قوله إليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حُفظَ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حُفِظَ حتى يصبح).

وعبد الرحمن المليكي[3]، وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه، فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي وهو محتمل على غرابته.

الحرز السابع:

لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله وحده

---

(١) في المخطوطات ((عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي ليلى)) وهو خطأ.

(٢) حديث ((حم المؤمن)) رواه الترمذي (٢٨٧٩)، وكذا البزار بنفس السند وقال الترمذي: (تكلم فيه -عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي- بعض أهل العلم من قبل حفظه) ونص الرواية ((من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء)) وعلة الحديث: عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، ضعفه ابن معين، وقال عنه أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وكذا نقل العقيلي عن البخاري، وقال ابن سعد: له احاديث ضعيفة، وقال ابن عدي: لا يتابع في حديثه وهو في جملة من يكتب حديثه، وقال ابن خراش: ضعيف الحديث ليس بشيء، وقال البزّار: ليّن الحديث، وقال ابن حبّان: ينفرد عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات، وحكم ابن حجر عليه بالضعف في ((تقريبه)) ومثل هذا حديثه يضعّف سيما مع عدم وجود المتابع، والحديث قال الترمذي فيه: غريب: وما حكم عليه الترمذي بالغرابة فهو ضعيف كما أشار لذلك العراقي في ((التقييد والإيضاح))، أما قول ابن القيم: أن له شواهد فمقصوده والله أعلم آية الكرسي ولأنه قال أن الحديث محتمل على غرابته أي أنه أقرّ بضعفه ولكنه احتمل معناه.

(٣) قوله -ابن القيم- عبد الرحمن المليكي دليل على أن الخطأ من النساخ وليس من الإمام الجليل فتنبه!!

لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك)(١).

فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله عليه.

الحرز الثامن:

وهو من أنفع الحروز من الشيطان: كثرة ذكر الله عز وجل، وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس، فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس والخناس الذي إذا ذكر العبد ربه انخنس، فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوساوس، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل.

الحرز التاسع:

الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يتحرز العبد به، ولا سيما عند الغضب والشهوة، فإنها نار تصلى في قلب ابن آدم كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: (ألاوإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم فما أطفأ العبد جمرة الغضب بمثل الوضوء والصلاة فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها اذهبت اثر ذلك جملة)(٢)، وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري [٣٢٩٣]، ومسلم [٢٦٩١]، وغيرهم.

(٢) أشار ابن القيم إلى الحديث الذي رواه الامام أحمد في ((مسنده)) (٣/١٩، ٦١)، والترمذي (٢١٩١)، وهوجزء من حديث طويل قال فيه الترمذي: حسن صحيح، قلت: ليس كما قال الترمذي إذْ أن فيه ((علي بن زيد بن جدعان)) وهو ضعيف، وقول ابن القيم (أمر تجربته تُغني عن إقامة الدليل) فيه إشارة لضعف الحديث لعدم اعتباره دليلاً كافياً، بل يستأنس به.

الحرز العاشر:

امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما ينال غرضه من ابن آدم في هذه الأبواب الأربعة، فإن فضول النظر يدعو إلى استحسان وقوع المنظور إليه في القلب والاشتغال به.

وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: (النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه)[1] أو كما قال ﷺ

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب وكم من حرب جرتها كلمة واحدة[وقد][2] قال النبي ﷺ: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا

---

(١) رواه الحاكم (٤/٣١٤) ومن طريقه القضاعي (١/٩٥) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ورواه الطبراني في الكبير (١٠٣٦٢)، ولفظ ابن القيم هي روايته، ورواه القضاعي (١/١٩٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وعلّه هذهِ الطرق ((عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي)) متفق على ضعفه، ورواه الإمام أحمد (٥/٢٦٤)، والطبراني (٧٨٤٢) عن أبي أمامة، وفيه عبيد الله بن زحر وعلي بن زيد الالهاني وهما ضعيفان جداً.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه أبو نعيم في ((الحليه)) (٦/١٠١) والديلمي ((زهر الفردوس)) (٤/١٢٦) وفيه سعيد بن سنان الخمصي أبو المهدي، قال عنه الحافظ ابن حجر: متروك ورماه الدارقطني وغيره بالوضع وضعفه الإمام أحمد، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، ومثله البخاري، والنسائي قال عنه: متروك، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال الجوزجاني: أحاديثه أخاف أن تكون موضوعة لا تشبه أحاديث الناس، ثم سرد الجوزجاني في كتابه (ص١٦٨) قصة روايته عن أبي اليمان وبيان بطلانها، وهذهِ الرواية عن أبي اليماني والحديث رواه ابن النجار كما في الجامع الكبير (١/٢١٢) عن أبي هريرة ولكنه سند ضعيف والحديث كما قال الشيخ الالباني رعاه الباري في ((سلسلته الضعيفه)) (١٠٦٤،١٠٦٥) ضعيف جداً.

ملاحظة: قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/٦٣) رواه الطبراني وفيه عبد الله بن إسحاق الواسطي واظنه وهم من الناسخ أو من طابع المجمع فالرجل هو عبد الرحمن الواسطي ويؤيد لذلك الطبراني المطبوع.

(٢) مابين [ ] زيادة من [ب].

حصائد ألسنتهم)[١].

وفي الترمذي أن رجلاً من الأنصار، توفي فقال بعض الصحابة: ((طوبى له)). فقال النبي ﷺ: (فما يدريك لعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه)[٢].

وأكثر المعاصي إنما تولد من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لايملاّن ولا يسأمان بخلاف البطن، فإنه إذا امتلى لم يبقَ فيه إرادة للطعام.

وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا، وكان السلف يحذرون من فضول النظر[٣]، وكانوا يقولون ما من شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان[٤].

وأما فضول الكلام[٥] فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٢٦١٩)، وقال حسن صحيح، وابن ماجة (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/٢٣١)، وعبد الرزاق (٢٠٣٠٣)، والطبراني (٢٠/رقم١١٦، ٢٥٨، ٢٠٠، ٢٦٦)، والحاكم (٢/٤١٢-٤١٣)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والنسائي في ((الكبرى)) وابن أبي الدنيا في ((الصمت)) وغيرهم والحديث ليس كما قال الترمذي ولا الحاكم فإن فيه كلاماً فصّل عليه القول الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في ((جامع العلوم والحكم)) والحديث مرتبته إلى الحسن وبذا حكم عليه محمد ناصر الدين الألباني في ((إرواء الغليل)) (٢/١٣٨).

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢٣١٦)، وقال: غريب، وعلّته أن الأعمش لم يسمع أنساً إنما له رؤية فقط، ورواه أبو يعلى في ((مسنده))، وابن أبي الدنيا في ((الصمت))، وفيه نفس علّة الترمذي إضافة إلى ((يحيى بن يعلى الأسلمي ((ضعيف)) وكذا حكم عليه ((الهيثمي)) في ((مجمعه)) (١٠/٣٠٣)، أما المنذري في ((ترغيبه)) (٣/٥٤١) فقال: رواته ثقات وصدق فإن رواته ثقات لكن الأعمش لم يسمع أنساً، يراجع تحفة الأحوذي (٦/٦٠٦).

ملاحظة: في المطبوع من الترمذي حديث غريب، وفي الترغيب: حسن غريب ولعله وهم من ناسخ الترغيب أو طابعه، فقد نقل صاحب التحفة عن الترغيب أنه غريب فقط، والله أعلم.

(٣) هكذا في جميع المخطوطات والصواب [الكلام].

(٤) هذا ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بسند صحيح كما في ((الصمت)) لابن ابن أبي الدنيا وغيره.

(٥) هكذا في جميع المخطوطات والصواب [الطعام].

المعاصي ويثقله عن الطاعات وحسبك بهذا[1] شراً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار: «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم»[2].

وقال النبي ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه)[3].

ولو لم يكن في الآمتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله، فإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه الشيطان، وشهاه وهام به في كل واد فإن النفس إذا شبعت تحركت، وطافت على ابواب الشهوات فإذا جاعت سكنت وذلت.

وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازة ففضول المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر، ولم يميز بينهما دخل عليه الشر.

أحدها:

من مخالطته كالغذاء ولا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من

---

(١) في نسخة (ب) عبارة (بهذين)، والذي أثبتناه مناسب لما بعده؛ لأنه قال (الشبع وفضول الطعام)، ولو قال الشيخ وفضول الكلام لكان مناسباً ذكره عبارة (هذين).

(٢) الرواية الصحيحة: (أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)، أما هذه الزيادة فقد أوردها الغزالي في إحيائه، وأشار العراقي إلى أنه لا أصل لها، وكذا قال الشيخ الألباني في تعليقه على كتاب «حقيقة الصيام» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أحسن ابن القيم إذ قال: «وفي بعض الآثار».

(٣) الحديث رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وقال: حسن صحيح، والحاكم (٤/١٢١)، وصححه ووافقه الذهبي، والإمام أحمد (٤/١٣٢)، وحسنه الألباني كما في «إرواء الغليل» (٧/٤١).

الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأمره ومكائد عدوه وأمراض القلوب، وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه، فهذا الضرب من مخالطتهم الربح كله.

القسم الثاني:

من مخالطتهم كالدواء تحتاج إليه عند المرض فإذا كنت[1] صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا تستغني عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت تحتاج إليه في انواع المعاملات والمشاركات والاستشارة.

القسم الثالث:

في مخالطتهم كالدواء على اختلاف انواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال، وهو من لا تربح عليه في دين، ولا دنيا ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت المخوف. ومنهم من مخالطته كوجع الضرس فإذا فارقك سكن الألم. ومنهم من مخالطته حمى الربع وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن أن يتكلم فيضيرك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف منزلته فيضعها في منزلتها بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه، وإن سكت فاثقل من نصف الرحى العظيمة التي لايطاق حملها.

ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: «ما جلس إلى جنبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أثقل من الجانب الآخر».

(١) هذا في (أ) والعبارة في (ب) [فما دمت].

ورأيت يوماً عند شيخنا[1] قدس الله روحه رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله فالتفت إلي وقال:

مجالسة الثقيل حمى الرِبْع[2]، ثم قال: ولكن أدمنت أرواحنا على الحمل[3]، فصارت لها عادة أو كما قال.

وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى الربع، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته، فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع:

من مخالطته الهلك كله[4] ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإذا اتفق لأكله ترياق وإلا فاحسن الله فيه العزاء.

وما أكثر هذا الضرب في الناس -لا كثّرهم الله- هم أهل البدع والضلالة الصادّون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها، فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة إن جردت التوحيد، قالوا: تنقصت الأولياء الصالحين وإن جردت المتابعة للرسول، قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين وإن وصفت الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير، قالوا: أنت من المشبهين وإن أمرت بما أمر الله ورسوله من المعروف ونهيت عن المنكر، قالوا: أنت من المفتين وإن اتبعت السنّة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من الملبسين وإن تركت ما أنت عليه واتبعت

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) وهي حمى تأخذ صاحبها يوماً وتدعه يومين ثم تجيء في اليوم الرابع، وهي نوع من أنواع الملاريا.

(٣) في نسخة (أ) عبارة (الحمى).

(٤) في نسخة (ب) عبارة (هنكه).

أهواءهم، فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين، فالحزم كل الحزم التماس مرضات الله ورسوله بإغضابهم وإن لاتبالي بذمهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك كما قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادةُ لي بأني فاضل[1]

وقد زادني حباً لنفسي بأنني ... بغيضٌ إلى كل امريءٍ غيرَ طائل[2]

فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم، وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة، واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرّز بها من الشيطان، فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه باب جهنم وفتح لها باب الرحمة، ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء فعند الممات يحمد العبد التقي، وعند الصباح يحمد القوم السرى، والله الموفق لارب غيره ولا إله سواه.

هذا آخر الكلام على السورتين والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه خاتم النبيين والمرسلين[3].

---

(١) الشعر للمتنبي كما في ديوانه المطبوع (ص١٨٨) ولفظه في ديوانه والشروح: فهي الشهادة لي بأني كامل.

(٢) هذا البيت للطرماح بن حكيم وليس تكملة لشعر المتنبي وفي الأصل المطبوع بعد شعر المتنبي كلمة (قال آخر)

ونص الشعر كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٣٩٠):

وقد زادني حباً لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

(٣) في نسخة (ب) عبارة [وصلى الله على محمد وسلم].